رسالة الكويت

رسالة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية

السنة الثالثة عشرة – العدد [٤٩] ربيع الأول ١٤٣٦هـ/ يناير ٢٠١٥م

مركز البحوث والدراسات الكويتية

في هذا العدد

- افتتاحية العدد
- من وثائق الصقر: ميزانيات نادرة لحكومة الكويت.
- بريد فيلبي "مر من هنا" عام ١٩١٨م.
- الكويت في متحف الطيران الحربي الملكي البريطاني.
- وثائق الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي.
- من مكتبة المركز.
- إصدارات المركز الجديدة.

الافتتاحية

عزيزي القارئ:

يوافق الحادي والعشرون من شهر يناير الجاري ذكرى مرور مائة عام على الافتتاح الرسمي لمكتب بريد الكويت، الذي كان ثمرة جهود طويلة بذلها الشيخ مبارك الصباح مع الحكومة البريطانية تعود إلى عام ١٩٠١م؛ فقد أدرك الشيخ مبارك أهمية هذا المرفق الذي من شأنه تيسير التواصل مع الخارج وخدمة النشاط التجاري الذي يمثل عصب الحياة في ذلك الوقت بالكويت.

وكان هذا الموضوع أحد البنود التي أثارها الشيخ مبارك مع نائب ملك بريطانيا في الهند اللورد كيرزون عند زيارته للكويت في نوفمبر ١٩٠٣م، الذي وعد بتنفيذ مقترح الشيخ مبارك. وفي ٢٨ من فبراير ١٩٠٤م وافقت بريطانيا على إنشاء مكتب للبريد في الكويت يكون فرعا للبريد الهندي، ويكون مقره في دار الاعتماد البريطاني. وفي ٢١ من يناير ١٩١٥م افتتح رسمياً أول مكتب للبريد في الكويت بختم مخصص للكويت، وتوقف استخدام ختم مكتب البريد الهندي على الرسائل الصادرة من الكويت. وفي هذا العدد مقال للأستاذ خالد العبدالمغني يبين أهمية هذا المكتب في تصدير الرسائل واستقبالها، ليس للكويت فحسب بل للمناطق المجاورة أيضا، ويقدم مثالا لمجموعة من الرسائل التي تلقاها سانت جون فيلبي أو أرسلها من خلال هذا المكتب.

والله ولي التوفيق

أ.د. عبدالله يوسف الغنيم

رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية

مركز البحوث والدراسات الكويتية

ص.ب: ١٠٢٤ دسمان – رمز بريدي: ١٥٤٦١ الكويت – ت: ٢٢٢١٠٨٩٨ (٠٠٩٦٥) – فاكس: ٢٢٢١٠٨٨٠ (٠٠٩٦٥)

E-mail: crsk@crsk.edu.kw - homepage: http://www.crsk.edu.kw

بريد فيلبي
"مر من هنا" عام ١٩١٨م

إعداد: خالد عبدالرحمن العبدالمغني

[في ٢١ يناير ٢٠١٥م تحين ذكرى مرور مائة عام على الافتتاح الرسمي لمكتب بريد الكويت، الذي يعد ثاني مؤسسة مدنية تقام في الكويت بعد إدارة الجمرك، وإسهاما من" الرسالة" في تسليط الضوء على مرحلة مهمة أداها مكتب البريد في تاريخ الكويت، ننشر فيما يلي البحث الذي يتناول أوراق تنشر لأول مرة عن بريد سانت جون فيلبي خلال نشاطه في بعثة في نجد (نوفمبر ١٩١٧ ـ أكتوبر ١٩١٨م)]:

ما يقارب العشرين رسالة مرت عَبْر مكتب بريد الكويت في الفترة ما بين شهر مارس لغاية شهر أكتوبر من عام ١٩١٨م، نصفها يحمل طوابع إما هندية وإما إنجليزية مرسلة للكويت، والنصف الآخر من الرسائل لا يحمل طوابع، وهي مرسلة من الكويت إلى إنجلترا، أغلبها يحمل ختم مكتب بريد الكويت، لعل العامل المشترك الذي يجمع ما بين كل تلك الرسائل يتمثل في الاسم "سانت جون فيلبي St. John Philby"؛ فهي إما مرسلة إليه أو مرسلة منه.

سانت جون فيلبي أو ما يعرف بالحاج عبدالله فيلبي ـ فيما بعد ـ الإنجليزي الجنسية والسيلاني المولد، سافر إلى الهند في عام ١٩٠٨م، وعمل في عدة وظائف إدارية، منها وظيفة تعنى باحتساب الضرائب من المحاصيل الزراعية لدى محافظ البنجاب، وقد أسهم نجاحه في العمل ونشاطه الإداري المتميز إلى جانب إجادته للغة الأوردية في ترقيته من منصب إلى آخر، وقد عكف خلال إقامته في الهند على تعلم مبادئ اللغة العربية، فكان ذلك سببا رئيسا فيما بعد في اختياره من قبل المقيم السياسي في الخليج بيرسي كوكس بعد أن أصبح رئيس الإدارة المدنية المحتلة لبلاد ما وراء النهرين، وذلك بعد احتلال الجيش الهندي البريطاني للبصرة وتقدمه نحو بغداد لمواجهة الحكم العثماني في العراق في نوفمبر ١٩١٥م، وقد أخذ الأتراك معهم السجلات الحكومية وما يتعلق بالتنظيم الإداري؛ فعين "جون فيلبي" الذي لا ينتمي للسلك العسكري برتبة مساعد مالي لرئيس الحكام المحليين في الشعبة المالية في الدائرة السياسية من أجل إعادة التنظيم الإداري ودراسة الموارد، بالإضافة إلى وضع نظام مالي وتحديد كيفية تحصيل الضرائب وغيرها.

ولعل التطور العسكري الميداني في ساحة حرب القوات البريطانية ضد الدولة العثمانية في العراق،

واندلاع الثورة العربية التي بدأت في الحجاز ضد العثمانيين، مما دفع بريطانيا إلى تأمين موقعها إزاء ما يجري في نجد والحجاز، والدفع في اتجاه تأمين الحرب أو تحييد ابن رشيد الذي يسيطر على حائل وهو الداعم الرئيسي للعثمانيين، إلى جانب اتخاذ اللازم بشأن التعامل مع الصراع السياسي الكامن والدائر في الجزيرة العربية بين آل رشيد وكل من عبد العزيز بن سعود حاكم نجد آنذاك والشريف حسين ملك الحجاز.

وفي منتصف عام ١٩١٧م وصل العقيد "ستورز Ronald Storrs" لبغداد مبعوثا من قبل المندوب السامي في مصر، فتقرر إرساله إلى نجد للقاء ابن سعود، ومنها إلى الحجاز للقاء الشريف حسين، وذلك من أجل تحقيق مشروع "بيرسي كوكس Percy Cox" في تعرف قوة ابن سعود، وكذلك تحسين العلاقة ومد الجسور بين الشريف حسين وابن سعود. فوصل العقيد "ستورز" إلى الكويت في الرابع من يونيو، وبقي فيها لمدة خمسة أيام، التقى خلالها الشيخ سالم الصباح أمير الكويت، ثم غادر إلى الزلفي مع قافلة، لكن "ستورز" بعد

سانت جون فيلبي في لباسه العربي الذي اشتهر به، فبعد وصوله لمنطقة العقير من البحرين في نوفمبر ١٩١٧م كان يرتدي لباسه العسكري الهندي حيث البنطال القصير والقبعة، وبعد انتقاله إلى الهفوف استقبله حاكم المنطقة عبدالله بن جلوي نيابة عن ابن سعود الذي اقترح عليه ارتداء الزي العربي لكي لا يلفت النظر مما يسهل له التنقل في نجد، فارتدى الدشداشة والعباءة الرجالية (البشت) والزبون، وأطال لحيته. ويذكر فيلبي في تقريره عن بعثة نجد أن ابن سعود عندما استعد للهجوم على حائل رفض أن يصحبه فيلبي لسببين؛ الأول لكي لا يصبح مصيره مثل مصير الكابتن شكسبير المعتمد البريطاني في الكويت عندما سقط قتيلا برصاصتين على يد أحد قوات ابن رشيد في المعركة الشهيرة "جراب" في يناير ١٩١٥م، والسبب الثاني التشدد الذي يظهره الإخوان -أفراد من قوات ابن سعود- من وجود نصراني بينهم.

أربعة أيام من رحلته أصيب بضربة شمس عاد بسببها إلى الكويت، وبعدها استقل السفينة بالينتانا Palintana التابعة لشركة الهند البريطانية عائدا من حيث أتى إلى القاهرة عن طريق بومباي.

بعثة نجد

لعل الوضع في الجزيرة العربية لم يهدأ وازداد غموضا وسخونة مع حرارة صيف ١٩١٨م وقدوم شهر رمضان، حيث بقيت "المدينة المنورة" تحت حكم العثمانيين بعيدة المنال عن الشريف حسين، وتمسك العثمانيون بسكة حديد الحجاز وعملوا على إصلاح الخلل بها، وبقاء حائل تحت سيطرة آل رشيد بعيدة عن ابن سعود، مما دعا "بيرسي كوكس" إلى تجديد فكرة الدعوة إلى إرسال بعثة لنجد من أجل الالتقاء بابن سعود والتباحث معه بشأن تفصيلات ما يمكن عمله أو القيام به لصالح قضيتهم المشتركة ضد العدو المشترك (ابن رشيد والعثمانيين)، وما يسهم في تسهيل مهمة الشريف حسين في عملياته العسكرية وتقدمه ضد العثمانيين في أراضي الحجاز، وأيضا تنقية الجو بين ابن سعود وبين كل من الشريف حسين من جهة والشيخ سالم الصباح من جهه أخرى، بالإضافة إلى بعض الأمور الأخرى؛ من مثل طلب ابن سعود إصدار عملة نحاسية، ومناقشة تعيين وكيل سياسي بريطاني في نجد.

وقد اقترح "بيرسي كوكس" أن تأخذ "بعثة نجد" صفة الصبغة العسكرية لفحص الوضع العسكري في الجزيرة العربية، وأن تكون مؤلفة من: المقدم "كنليف" لتمثيل القائد العام بمرافقة جون فيلبي كممثل سياسي لكوكس، وكذلك المقدم "هاملتون" المعتمد السياسي في الكويت لتمثيل مصالح الكويت، على أمل مشاركة "ستورز" ممثلا للمندوب السياسي في مصر، بالإضافة إلى ممثل ملك الحجاز. لكن تشكيل بعثة نجد انتهى إلى أن يكون سانت جون فيلبي وحيدا في تصريف أمورها؛ حيث كان "هاملتون" موجودا في الرياض قبل انطلاق البعثة، وعاد بعد أن التقى بأعضاء البعثة بأيام، أما المقدم "كنليف" فبقي حتى فبراير ١٩١٨م وعاد بعدها لموقعه العسكري في العراق، وأما ممثل المندوب السامي في مصر فقد اصطدم برفض الشريف حسين مشاركته في البعثة، ولم يسمح بمرور أي ممثل من مصر عبر أراضيه في الحجاز إلى نجد، لأنه كان لا يرى نفعا من البعثة وأن الطريق غير آمن.

بدأت بعثة نجد في ٢٩ أكتوبر ١٩١٧م وانتهت في الأول من نوفمبر ١٩١٨م، وكان سانت جون فيلبي هو المكون والمحرك الأساسي لها بعد مضي أربعة أشهر من انطلاقتها، وقد استغرقت البعثة فترتين زمنيتين متصلتين؛ الفترة الزمنية الأولى انتهت في يناير ١٩١٨م، والفترة الزمنية الثانية بدأت في مارس وانتهت في نوفمبر ١٩١٨م.

الملك عبدالعزيز آل سعود مع الكولونيل بيرسي كوكس (١٨٦٤ ـ ١٩٣٧م)، المقيم السياسي في الخليج (١٩٠٤ـ ١٩١٥م)، ومن ثم أصبح رئيس الإدارة المدنية للأراضي العراقية المحتلة (١٩١٥ـ١٩١٧م) وبعدها وزيرا مفوضا لدى إيران، ومن ثم عاد للعراق في عام ١٩٢١م حتى تقاعده من الخدمة في عام ١٩٢٣م.

الفترة الأولى (المسار الأول):

خط سير البعثة في الرحلة الأولى بدأ من البصرة في ١١ نوفمبر بواسطة مركب بخاري إلى البحرين واستغرقت الرحلة يومين، ومن ثم استقلت البعثة مركبا شراعيا نحو منطقة العقير، التي كان بها ميناء مهم آنذاك على الخليج، حيث استقبلهم مندوب ابن سعود وسار بهم إلى الهفوف في الأحساء، وفي ٢٢ نوفمبر اتجهوا إلى الرياض بعد رحلة مع قافلة استغرقت سبعة أيام، والتقوا بالمقدم "هاملتون" الوكيل السياسي في الكويت الذي عاد للكويت بعد مضي عدة أيام من الاجتماعات مع عبد العزيز ابن سعود وأبيه الإمام عبدالرحمن بن فيصل. ومن ثم سافر فيلبي في ديسمبر من أجل دحض حجة ملك الحجاز الشريف حسين بأن طرق الحجاز إلى نجد غير آمنة، فغادر طريق الطائف حتى جدة من أجل مقابلته، وبعد لقائه رفض الشريف حسين الإذن له بالعودة عن طريق "نجد"، فسافر فيلبي عن طريق البحر مرورا بينبع والعقبة والسويس إلى القاهرة في ١٤ يناير ١٩١٨م.

بقي فيلبي في القاهرة، وبعد فترة قصيرة ذهب بصحبة الرائد "هوجارت" ممثل المندوب السامي البريطاني في مصر إلى القدس بفلسطين، ومن ثم

عاد إلى القاهرة لمناقشة وضع البعثة والأوضاع العربية المتعلقة بها مع المندوب السامي وباقي أفراد المكتب في مصر، وفي ١٦ فبراير عاد إلى البصرة عن طريق البحر، حيث استقل سفينة من السويس إلى بومباي ثم كراتشي ومنها إلى البصرة في ٢٤ مارس ١٩١٨م.

الفترة الثانية (المسار الثاني)

بدأت الرحلة الثانية فورا بعد عودة فيلبي للبصرة قادما من القاهرة بالباخرة عن طريق بومبي، حيث مكث بها أربعة أيام التقى خلالها بزوجته "دورا"، ورحل إلى نجد عن طريق الزبير برا، ومن ثم طريق "الحفر"، وانحدر من هناك إلى منطقة شعيب الشوكي التي لا تبعد عن الرياض، حيث التقى ابن سعود قادما من الأحساء، وسارا معا إلى الرياض ووصلا إليها في ١٩ أبريل ١٩١٨م.

وقد تداول فيلبي خلال لقائه مع ابن سعود تعهده "بأن يستعد للعمل ضد ابن رشيد في رمضان القادم (يونيو ـ يوليو)، وأن يقضي الفترة الممتدة إلى ذلك التاريخ في جمع المؤن وغيرها من التجهيزات الضرورية لعملياته"[١] وخلال ذلك لم يجد فيلبي فترة إقامته في الرياض ممتعة، فحصل على موافقة من ابن سعود على القيام برحلة في أطراف نجد الجنوبية، حيث خرج من الرياض في ١٦ من مايو عن طريق الحائر، فالخرج، فالأفلاج، فالسليل، إلى وادي الدواسر، ومن ثم سافر عبر هضبة طويق، فزار الهدار، والحمر، وستارة، والغيل، والحوطة، وعاد بعدها إلى الرياض في ٢٤ يونيو، أي أن فترة غيابة استغرقت خمسين يوما.

وعندما عاد فيلبي إلى الرياض كانت الاستعدادت قد تمت لبدء الحرب ضد ابن رشيد، فرافق فيلبي ابن سعود إلى بريدة عن طريق وادي حنيفة، والوشم (من أهم مدنها أشيقر وشقراء وثرمداء)، والسر، والمذنب، فعنيزة، ووصلا بريدة في ٢٥ أغسطس ١٩١٨م. لكنهما تأخرا فيها لمدة أسبوعين تقريبا بسبب اندلاع الحرب، بعدها توجه ابن سعود إلى حائل، أما فيلبي فلم يسمح له ابن سعود بالذهاب معه فبقي في عنيزة، ولكنه التحق به في "القصيباء" بعد عودته من حائل في ٢٨ سبتمبر ١٩١٨م. وفي الثاني من أكتوبر تلقى فيلبي تعليمات من الحكومة البريطانية تطلب إليه إنهاء البعثة، فعاد إلى الرياض وأخذ معه كل الرسائل التي استلمها منذ بدأ «بعثة نجد»، واختار العودة إلى العراق عن طريق الساحل مرورا بالكويت التي وصلها في السادس عشر من أكتوبر عبر طريق الشماسية والزلفي والدجاني والقرعاء، بعد أن أمضي تسعة أشهر في نجد والحجاز قطع فيها ٢٦٠٠ ميل.

بريد فيلبي

طيلة فترة وجود سانت جون فيلبي في نجد

(١) الصفحة ٩٦ ـ كتاب بعثة إلى نجد ١٩١٧ـ ١٩١٨م ـ سانت جون فيلبي ـ قدمه وترجمه وعلق عليه الدكتور عبدالله الصالح العثيمين ـ توزيع مكتبة العبيكان ـ الطبعة الثانية ١٩٩٨م.

ونواحيها ورحلته إلى الحجاز ومصر في الجولة الأولى، وعودته مرة أخرى لنجد وتجواله في وادي الدواسر، والبريد المرسل منه وإليه لم ينقطع بتاتا، حيث تكشف العديد من الرسائل الخاصة بفيلبي المرسلة من والدته من إنجلترا، ومن زوجته عندما كانت في الهند وعودتها بعد ذلك إلى إنجلترا، أنها قد مرت عبر مكتب بريد الكويت، حيث كانت الرسائل تحمل عنوان عمله في الجيش بالبصرة، ولكن نظرا لوجود فيلبي في بعثة نجد كان من الصعب إرسالها إليه هناك لعدم وجود مكاتب بريد هندية بريطانية في الرياض وعموم نجد[1]، لهذا كان مكتب البريد الميداني العسكري في البصرة يقوم بتحويل رسائل فيلبي عن طريق مكتب بريد الكويت الذي يقع بمقر دار الاعتماد البريطاني، وبدوره يستلمها المعتمد الكابتن "لوش P. G. Loch»[2] من مكتب البريد، ويقوم بإرسالها إلى فيلبي عن طريق ممثل ابن سعود في الكويت أو بواسطة أشخاص موثوق بهم لهم صلة بابن سعود، ينحدرون بواسطة قوافل الجمال إلى الرياض أو بريدة، وبالمثل كان فيلبي يبعث برسائله لوالدته وزوجته كما يبدو بواسطة الأشخاص أنفسهم الموثوق بهم مع بريد ابن سعود، حيث كانوا يحملون البريد معهم في رحلاتهم ذهابا وإيابا ما بين الكويت ونجد.

ويلاحظ أن كل رسائل فيلبي تتميزعن باقي الرسائل البريدية بكونها لا تحمل طوابع، وإنما فقط ختم بريد الكويت الذي يحمل التهجئة اللاتينية (KOWEIT)، والتي تعرف بالتسمية الفرنسية، لأن العاملين أو أفراد الجيش مُعفَوْن من سداد الأجرة البريدية.

وتكشف أوراق من الأرشيف الإنجليزي[3] بعض التفصيلات عن طريقة إرسال البريد إلى فيلبي خلال فترة وجوده في نجد، ومن هو الوسيط بين المعتمد والجهة التي تحمل أعباء مسؤولية نقل البريد لنجد ولابن سعود تحديدا؟ وكم يستغرق مسار البريد من حيث عدد الأيام بين الكويت ونجد؟ وأين يحتفظ بالبريد المرسل لفيلبي في حال غيابه في نواحي نجد؟

أغلب الوثائق المتوافرة تبين أن الحاج عبدالله ابن حمد النفيسي هو الشخص المسؤول عن شؤون عبدالعزيز ابن سعود في الكويت، بحكم العلاقة القديمة التي تربطه معه عندما أقام الأخير مع

(١) قبل ذلك التاريخ كانت هناك مكاتب عثمانية في المدينة ومكة المكرمة وتبوك والطائف وغيرها، أما نجد فقد فتح فيها مكتب للبريد العثماني في عام ١٩٠٢م بمنطقة الهفوف ـ الأحساء القريبة من أطراف نجد، حيث استخدم ختم يحمل اسم نجد، ومع أفول الدولة العثمانية عن الجزيرة العربية أغلقت مكاتب البريد تباعا ما بين عامي ١٩١٤ و١٩١٧م.

(٢) تقلد الكابتن لوش P. G. Loch منصب المعتمد السياسي البريطاني في الكويت بعد الكولنيل هاملتون في ١٥ مارس ١٩١٨م، واستمر بمنصبه لغاية ١٩ سبتمبر ١٩١٨م، ومن ثم تولى الكابتن ماكلوم Mc Collum منصب المعتمد السياسي، الذي قدم للكويت بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩١٨م للإشراف على الحصار الاقتصادي على الكويت للحيلولة من تهريب البضائع للعثمانيين.

(3) Kuwait Political Agency, Arabic Documents 1899-1949, Volume 3 and 6 - Archive Editions 1994.

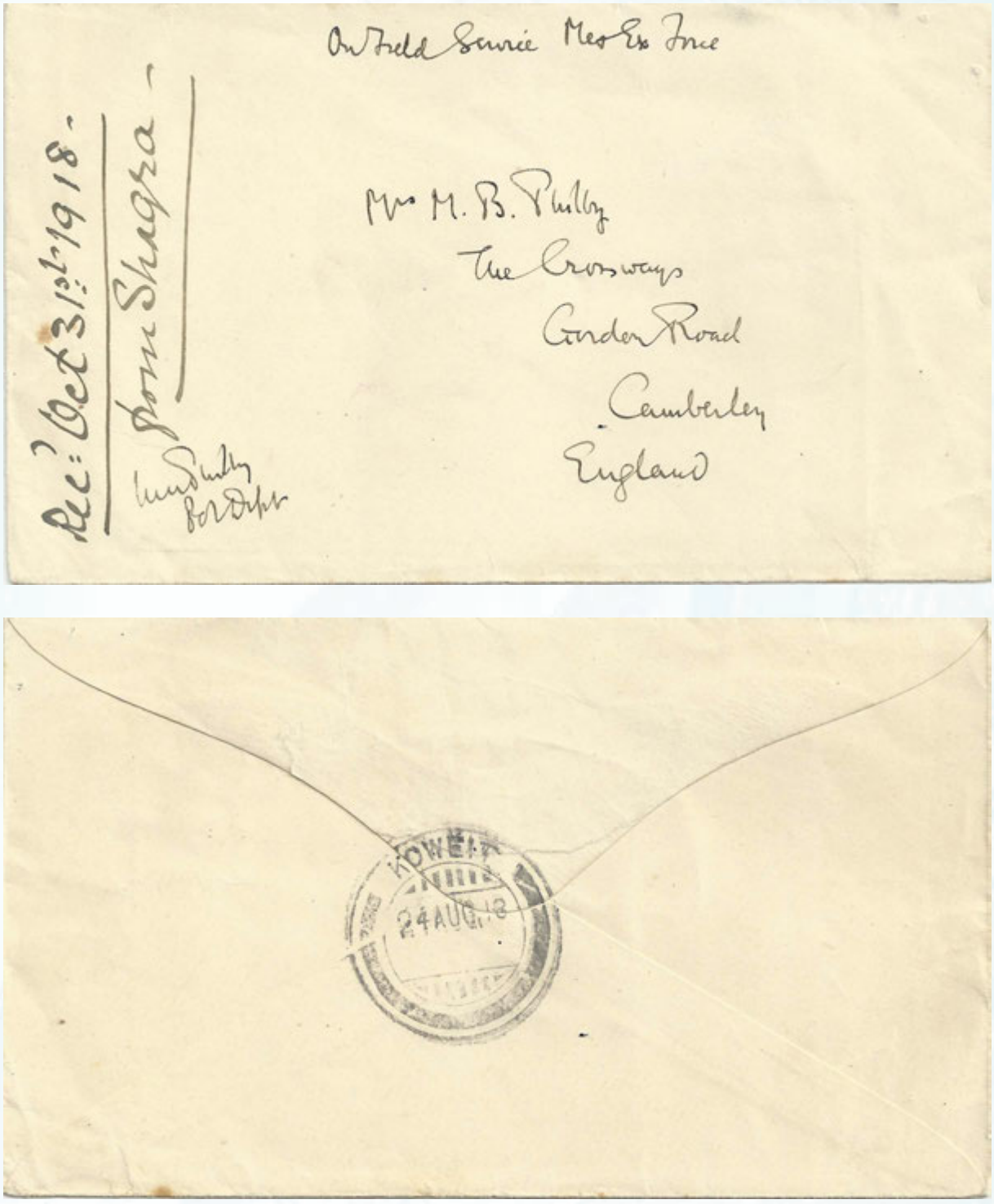

مغلف رسالة معفاة من الأجرة من فيلبي بعثها خلال مروره بمنطقة «شقرا» مرسلة إلى والدته في كيمبرلي/ إنجلترا، حيث يبعث البريد إلى الرياض ومنها بواسطة الجمال إلى الكويت ليسلم للحاج عبد الله النفيسي الذي بدوره يسلمه للمعتمد البريطاني ليسلمها لناظر بريد الكويت (ختم ٢٤ أغسطس ١٩١٨م) ـ مرسلة بالبريد البحري. (مجموعة السيد/ حسين رجب الإسماعيل)

والده عبدالرحمن بن فيصل آل سعود في الكويت في الفترة ما بين ١٨٩٢ لغاية ١٩٠٢م، حيث قام الحاج عبدالله النفيسي بتجهيز «بيت ابن عامر» سكنا له طيلة السنوات العشر، ويذكر أن علاقة النفيسي بابن سعود قد سبقت قدوم الأخير للكويت، كما استعان به عبدالعزيز ابن سعود خلال تلك الفترة ليشرف على القوافل التي تخرج من الكويت ناحية نجد خلال الحصار الذي فرضته بريطانيا، حيث كان الحاج النفيسي ممثلا ومعتمدا لابن سعود منذ عام ١٩٠١م، وأصبح ممثلا تجاريا رسميا للمملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٢١ لغاية ١٩٤١م، وبعدها تولى ابنه عبدالعزيز الممثلية، ومن ثم انتقلت لابنه فهد النفيسي حتى استقلال الكويت عام ١٩٦١م.

وكانت الرسائل الخاصة تصل لفيلبي مع رسائل ابن سعود من نجد بواسطة قوافل الجمال إلى الحاج عبدالله بن حمد النفيسي، ومن ثم كان يقوم الحاج النفيسي بدوره بتسليمها للمعتمد السياسي

مغلف رسالة من والدة فيلبي ـ كيمبرلي/ إنجلترا بتاريخ ٥ فبراير ١٩١٨م إلى ابنها خلال تواجده بالقاهرة ـ مصر، لكن الرسالة وصلت بعد مغادرته لمصر إلى مقر عمله في البصرة، حيث أعيد إرسالها إلى مقر الإدارة المدنية المحتلة في بغداد كما يوضح الختم بتاريخ ٣ مارس ١٩١٨م خلف المغلف، ومن ثم أعيد إرسال الرسالة مرة أخرى إلى الكويت نظرا لعودة فيلبي لاستكمال بعثة نجد، لترسل له بواسطة الجمال إلى الرياض .

البريطاني في الكويت، وكذلك بالمقابل كان ينقل رسائل المعتمد البريطاني في الكويت لابن سعود ومعها الرسائل الخاصة لفيلبي من والدته ومن زوجته، حيث يقوم بإيصالها مع القوافل المتجهة إلى نجد.

وتستغرق الفترة الزمنية للرسائل التي ترسل بواسطة الجمال ما بين الكويت ونجد ـ الرياض تحديدا ـ في حدود ثمانية أيام، حيث يشير الحاج عبدالله بن حمد النفيسي في جوابه على رسالة المعتمد البريطاني "لوش" بعد تعطل بعض المكاتيب المرسلة لفيلبي في الطريق، إلى أن "العجل منهم يصل نهار ثامن، والذي يتأخر يصل نهار عاشر".

الشيخ أحمد الجابر وصناديق فيلبي

في الثامن من أغسطس ١٩١٨م سار الشيخ أحمد الجابر الصباح على رأس حملة للحج بلغ قوامها ألف وخمسمائة شخص كما ذكر المعتمد البريطاني في تقريره السنوي[1]. وفي رواية أخرى خمسمائة حاج من الكويت وخمسمائة حاج آخرون سارو بصحبتهم في أثناء الطريق، ذكرها حسين خزعل في كتابه (تاريخ الكويت السياسي)، وعادت حملة الحج إلى الكويت بتاريخ ٢٩ أكتوبر، حيث استغرقت الرحلة ٨٢ يوما، ويذكر أن الشريف حسين قد أحسن استقبالهم وقدم له الشيخ أحمد الجابر الهدايا؛ منها مسباح من اللؤلؤ حمله معه إهداء من الشيخ سالم الصباح، ويذكر أن الحملة تعرضت خلال مسارها في أراضي الحجاز لبعض المضايقات، ولكن خلال سيرها داخل الأراضي التي تحت سيطرة ابن سعود كان الطريق آمنا نظرا لتقديم ابن سعود التسهيلات اللازمة.

وقبيل رحيل الشيخ أحمد الجابر للحج بعث المعتمد البريطاني «لوش» رسالة له في ٢٨ يوليو ١٩١٨م يستأذنه بأن يرسل معه ستة عشر صندوقا لفيلبي، وتكون بصحبة أحد الأشخاص المؤتمنين من قبل الحاج عبدالله النفيسي، يسافر مع الحملة، ويخبره بأن «فيلبي» سوف يبعث أحدا من طرفه لاستلامها، وإن لم يستلمها أحد من قبل فيلبي فتسلم عندئذ بيد فهد بن عبد العزيز بن معمر أمير بريدة.

وفي رسالة أخرى متزامنة في التاريخ نفسه مرسلة من المعتمد البريطاني إلى الحاج عبدالله النفيسي يخطره بأنه أرسل له ست عشرة بقشة (صندوق)، ويطلب إليه تعيين رجل معتمد من قبله يأخذها لفيلبي، وذلك برفقه الشيخ أحمد الجابر الصباح، الذي قبل أن يأخذ الصناديق معه خلال رحلته للحج، وفي سياق الرسالة يكشف عن محتويات صندوقين بالقول بالنص: «وإني أخبرت مستر فيلبي وطلبت منه حتى يرسل رجال ليلاقون الجماعة مال صديقنا المحب الشيخ أحمد بن جابر ويجلبون الأغراض إلى وين ما يكون، وأنا أيضا قلت له إذا هو ما يرسل رجال ليلاقونهم، أن الرجل الذي معه الأغراض أن ياخذهم إلى فهد بن عبدالعزيز بن معمر أمير بريده ويسلمهم

(1) The Persian Gulf Administration Reports 1873–1947, Vol. VII: 19051911-, Ch. XI, (Year 19071908-).

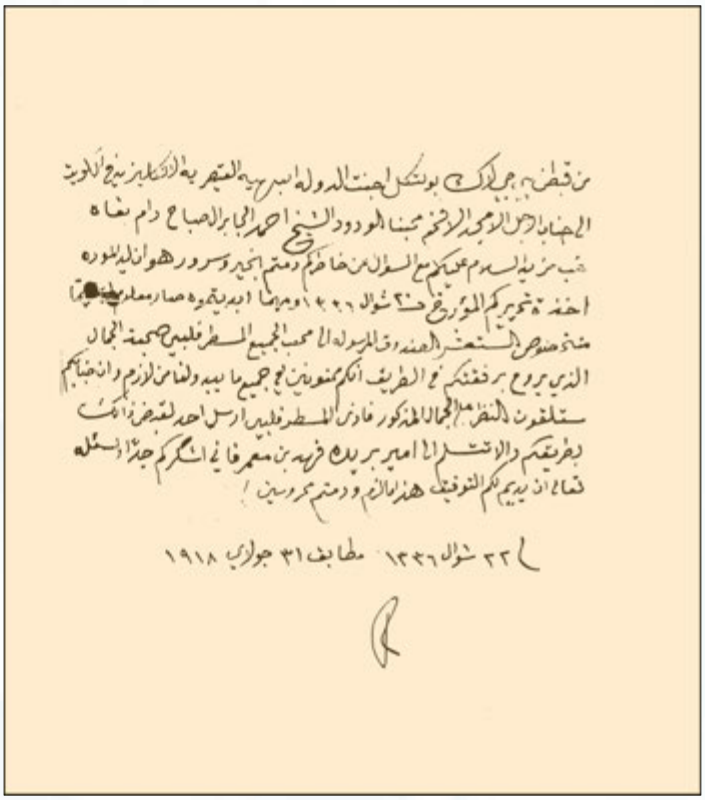

رسالة من المعتمد البريطاني في الكويت الكابتن لوش إلى الشيخ أحمد الجابر الصباح قبل ذهابه للحج بتاريخ ٣١ يوليو ١٩١٨م يشكره على قبوله حمل الستة عشر صندوقا "المرسولة إلى محب الجميع المستر فيلبي" في صحبته.

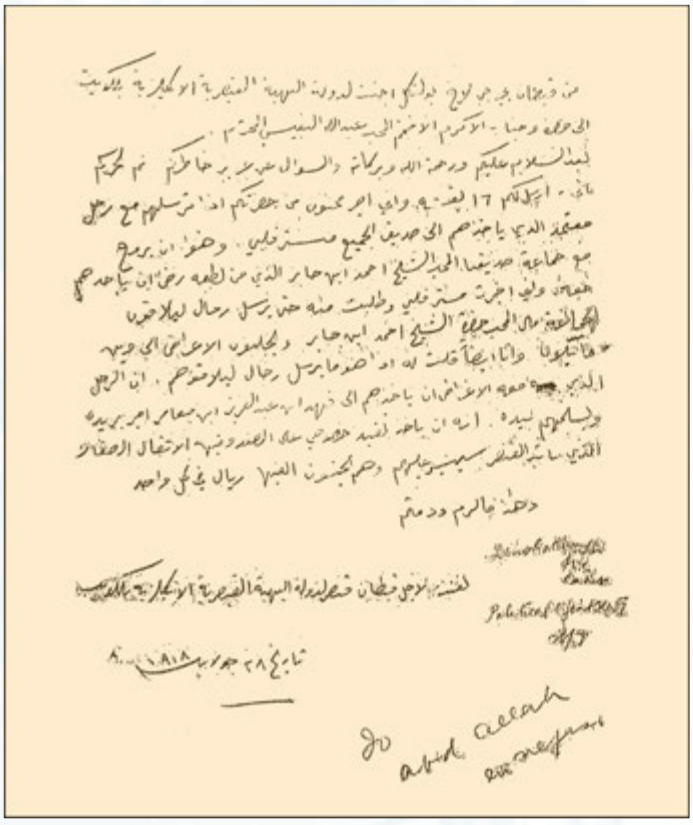

رسالة من الكابتن لوش إلى الحاج عبدالله بن حمد النفيسي بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩١٨م يخطره بإرساله ستة عشر صندوقا، ويطلب إليه أن يرسلها مع شخص معتمد بصحبة الشيخ أحمد الجابر الصباح

بيده، أنه أن يأخذ تفييد خصوصا على الصندوقين الثقال الصغار الذي نائب القنصل سيشر (ليؤشر) عليهم، وهم يحتوون ألفين ريال في كل واحد».

والمقصود بالريال هو الريال الفرنسي الذي يعرف بالريال النمساوي أو ماريا تريزا التي تعد العملة الرسمية آنذاك في نجد، والريال عملة معدنية من الفضة وزنها ٢٨ غراما، ويقدر سعر صرف الريال آنذاك ما يعادل ٢٩٠ روبية هندية مقابل كل ١٠٠ ريال، كما ذكر المعتمد البريطاني في الكويت لسعر الصرف في تقريره الإداري السنوي لعام ١٩١٧م، علما بأن سعر الصرف كان في عام ١٩١٦م: كل ١٥٢ روبية يعادلها ١٠٠ ريال، بارتفاع سعر صرف الريال بمقدار ١٣٨ روبية، ومن ثم يصبح تقدير إجمالي ما في الصندوقين مبلغا قدره ١١,٦٠٠ ألف روبية، ووزن كل صندوق ٥٦ كيلو جراما محملة على الجمل.

وللأسف لم يوضح المعتمد الإنجليزي «لوش» محتويات باقي الأربعة عشر صندوقا، ولكن «فيلبي» يشير في الملحق الثالث من تقريره عن «بعثة نجد» تحت بند بيان السلاح والعتاد المعطاة إلى ابن سعود في يوليو ١٩١٨م إلى التالي: ١,٠٠٠ بندقية ونشستر، و ٢٥٠,٠٠٠ رصاصة S. A. A، وأيا كانت محتويات الصناديق الباقية؛ مؤنة أو سلاحا أو عتادا، فمن المحتمل أنها جزء من تجهيز حملة ابن سعود ضد آل رشيد للسيطرة على حائل، وهذا ما يعرف في عهدنا الحاضر بالدعم اللوجستي

علما بأنه قد سبق للمعتمد "لوش" أن أرسل قبل هذه المرة بصناديق لفيلبي، ولكن إرسال الصناديق بهذا العدد مع الشيخ أحمد الجابر الصباح ضمن حملة الحج أكثر أمانا وسلاما وغير عرضة للتأخير أو السرقة؛ ففي رسالة بعثها المعتمد البريطاني "لوش" للحاج عبدالله بن حمد النفيسي بتاريخ ٤ أغسطس ١٩١٨م يطلعه فيها على "أن مستر فيلبي قد أخبرني بأن الطارش الذي يروح له من الكويت يتعطل في الطريق، وخصوصا أن الصندوقين مع الأكياس التي أرسلت له من الكويت في ٦ جون (يونيو) = ٦ شعبان ١٣٣٦هـ ما وصلت إليه إلا ١٧ جولاي (يوليو) = ٦ شوال ١٣٣٦هـ. إني أرجوكم ومن لطفكم أن تعملوا تفتيشات عن هذا بما أنه مهم جدا أن كل المكاتيب أن توصل الرياض بسرعة، وبما أن الشغل بين الحكومة وسعادة السير عبدالعزيز بن عبدالرحمن ابن فيصل آل سعود ـ كي سي أي ئي[1] ـ هو كثير ضروريا وهذا ما لزم". وأجاب الحاج عبدالله النفيسي على استفسار المعتمد «.... خصوص سؤال سعادتكم عن تعطيل المكاتيب بالطريق عن تعريف مستر فيلبي جميع الطروش الذي ترسل العجل منهم يصل نهار ثامن، والذي يتأخر يصل نهار عاشر، وأسباب التأخير يوافق البعارين ما هي واحد والأوادم كذلك ما هو واحد، خصوصا من طرف تعطيل الصناديق والأكياس أرسلناها من

(١) K.C.I.E هي رتبة تعني قائد فرسان الإمبراطورية الهندية منحت لعبدالعزيز بن سعود من قبل الكولنيل بيرسي كوكس بحضور الشيخ خزعل ـ شيخ المحمرة ـ والشيخ جابر المبارك الصباح الذي منح أيضا لقب C.S.I ومعناه زميل نجمة الهند، في أول اجتماع دولي عقد في الكويت شهر نوفمبر ١٩١٦م).

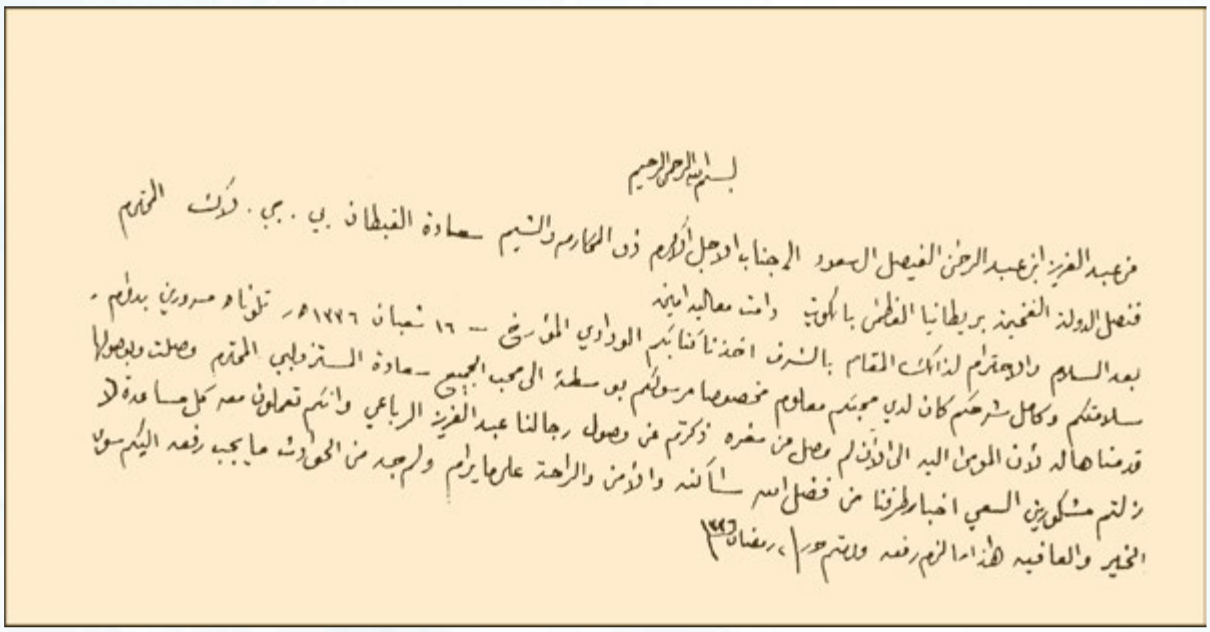

رسالة من عبدالعزيز ابن عبدالرحمن الفيصل ال سعود إلى الكابتن لوش يبلغه عن استلام رسالته المرسلة بتاريخ ١٦ شعبان ١٣٣٦م، يخبره في خصوص" مرسولكم البوسطة إلى محب الجميع المستر فيلبي المحترم وصلت وبوصولها قدمناها له، لأن المرسل إليه (فيلبي) إلى الآن لم يصل من سفره".

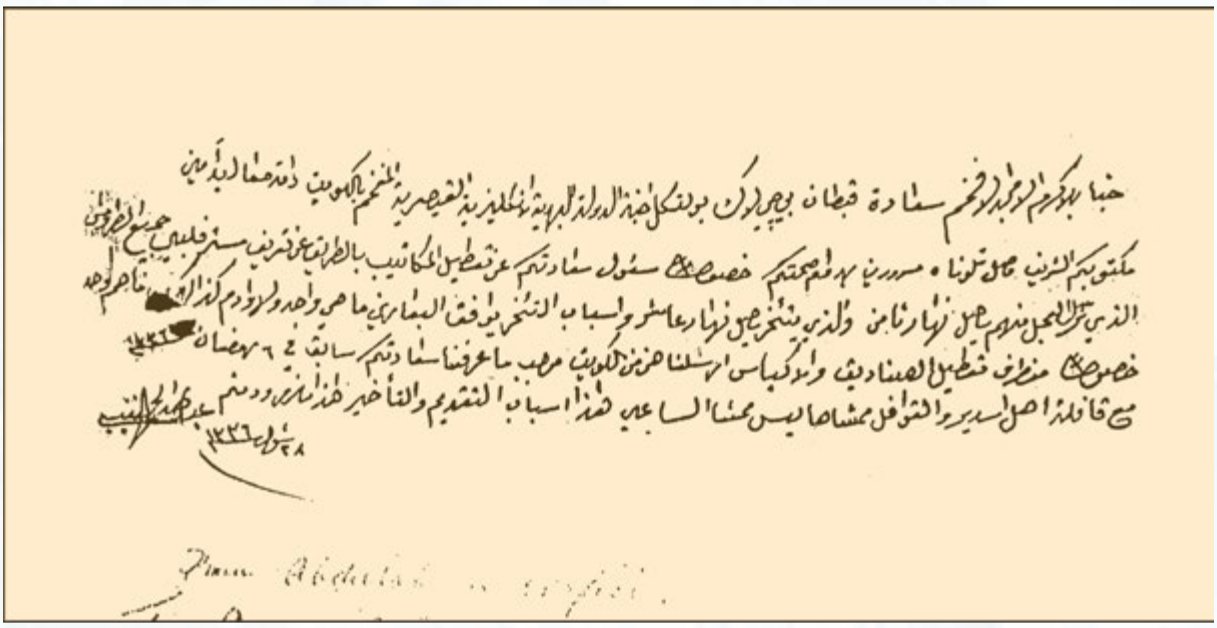

رسالة من الحاج عبدالله بن حمد النفيسي يرد بها على الكابتن لوش عن تعطل مكاتيب مرسلة لفيلبي بتاريخ ٢٨ شوال ١٣٣٦هـ"

الكويت موجب ما عرفناه لسعادتكم سابقا في ٦ رمضان ١٣٣٦هـ مع قافلة أهل سدير والقوافل ممشاها ليس ممشا (ممشى) الساعي، هذا أسباب التقديم والتأخير»، ومنطقة سدير تقع على بعد مسافة مائة وثمانين كلم شمال الرياض.

محب الجميع

يُكْتَب قبل اسم «فيلبي» في كل المخاطبات ما بين المعتمد البريطاني في الكويت وبين عبد العزيز ابن سعود أو مع الحاج عبد الله النفيسي والشيخ أحمد الجابر الصباح لقب «محب الجميع»، وهي ترجمة حرفية محوره لـ «Friend of all» ، ولكن هل كان المستر «سانت جون فيلبي» فعلا «يحب» الجميع كما «يحبه» الجميع؟، يمكن القول إن فيلبي كان يخدم مصالح بلاده «بريطانيا العظمى» في المرتبة الأولى ويسعى لتأمين توسعاتها والحصول على الولاءات السياسية اللازمة التي تخدم مواقفها ومواقعها في المناطق البعيدة عنها، ولكن من المؤكد أن فيلبي لم يكن يحب الكويت، وكان لديه ضغينة وحماسة غير مبررة ضد حاكم الكويت آنذاك الشيخ سالم المبارك الصباح، ويبدو ذلك واضحا في سياق نص المذكرة التي قدمها عن «بعثة نجد»، وفي سطورها، وكلما جاء ذكر اسم الكويت وما يحمله من تحريض ضدها، ولعله كان من أكثر الأشخاص الذين كانوا يطالبون بتشديد الحصار على الكويت خشية تهريب البضائع والتجهيزات للعثمانيين، بل يمكن القول إنه هو والكولونيل هاملتون ـ المعتمد البريطاني في الكويت آنذاك ـ دفعا في اتجاه وضع إجازات تمنح للأشخاص الذين يأتون من الجزيرة العربية للسماح لهم بالتصدير من الكويت، وتكون مصحوبة بممثل مسؤول لابن سعود، والذي هو بالمقابل ـ أي ابن سعود ـ يتعهد بعدم خروج التجهيزات بعد دخولها أراضيه للعدو العثماني (التركي). ومع هذا أدى تطور الوضع المتأزم بين حاكم الكويت والبريطانيين- نظرا لصعوبة تأمين الحصار من جانب، والشكوك في نوايا الشيخ سالم الصباح بخصوص التجارة المصدرة من الكويت من جانب آخر- إلى وضع ضابط بريطاني مسؤول مقيم ليضمن وضع رقابة فاعلة تؤمن الحصار.

وقد بلغ «فيلبي» أقصى مدى من الضغينة والكراهية ضد الكويت، في اقتراحه الذي قدمه للكولنيل «بيرسي كوكس» بأن يتم تحويل تجارة نجد من ميناء الكويت إلى موانئ الأحساء، وذلك لحرمان الكويت من رسوم الجمرك على البضائع التي تستورد لأراضي نجد، لكن نظرا لقلة مرور البواخر على الأحساء وكونها ليست ضمن جدول رحلات شركة سفن الهند البريطانية، وكذلك عدم وجود التسهيلات البحرية كالتي تقدمها الكويت، إلى جانب مهارة الكويتيين بلا منازع في إدارة تجارتهم بالسفن الشراعية، فقد أدى ذلك إلى أن مُني اقتراحه بالفشل.

وأبلغ من وصّف شخصية «فيلبي» توصيفا بليغا هو الشاعر الكويتي خالد الفرج في قصيدة رمزية عميقة المعنى، وذلك بعد سماعه عن اعتناق فيلبي للإسلام وتسمى بالحاج عبدالله فيلبي في عام ١٩٣٢م؛ قال فيها:

الحمـــــدُ لله ربـــي قد أسلَمَ اليومَ (فلبي)
وذاك نصـــرٌ عظيمٌ نِـلـنْـاه مـن غـير حرب